الشيخ ناصيف اليازجي

بعض رسائله وقصائده التي لم تنشر

دعتنا جامعة هارڤارد لكتابة بحث عن المعاهد والأعمال الثقافية الأمريكية في سورية الكبرى أثناء القرن التاسع عشر ، فأخرجنا كتاباً باللغة الانكليزية طبع في مطبعة جامعة اكسفورد في سنة ١٩٦٦ .(١) وقد أخرجنا قبل ذلك ، برعاية جامعة لندن ، كتاباً آخر عن المعاهد والأعمال الثقافية البريطانية في فلسطين أثناء القرن التاسع عشر طبع في المطبعة نفسها في سنة ١٩٦١.(٢) وقد وقفنا أثناء جمع مادة الكتابين والتنقيب في السجلات الرسمية وفي دفاتر الجمعيات الدينية والعلمية في لندن وادنبره وواشنطون ونيويورك وغيرها على حقائق جديدة وتوصلنا إلى استنتاجات تناقض بعض ما نُشر دون تحقيق وفصلنا ذلك كله في الكتابين .

وكان من أهم ما وقعنا عليه بين أوراق المبشرين الأمريكان حقائق جديدة عن الشيخ ناصيف اليازجي وعدداً من رسائله وبعض قصائده التي لم تنشر . أما الحقائق فمعظمها لا ذكر له في الكتب التي تترجم له في اللغة العربية وفي اللغات الأخرى . وأما الرسائل فعددها تسع موجهة كلها إلى القس عالي سمث وتبين مسائل ذات صلة بالتعليم وتاريخ الأدب في سورية . وأما القصائد فعددها ثلاث واحدة منها على الأقل تستحق اهتمام الأدباء والمؤرخين على السواء .

---

(1) American Interests in Syria, 1800 — 1901 .

(2) British Interests in Palestine, 1800 — 1901 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول معظم المؤلفين الذين ترجموا للشيخ ناصيف أنه ساعد المبشرين الأمريكان في ترجمة التوراة إلى اللغـــة العربية ، ولا يزيدون على ذلك ولا يبيّنون نوع مساعدة من لم يعرف سوى اللغة العربية . فلا غنىً عن توضيح ذلك وغيره ، فقد صرف الأمريكان قبل أن يصلوا إلى مشروع ترجمة التوراة نحو ربع قرن يستخدمون من يعلمهم اللغة العربية ومن يتولى التعليم في بعض المدارس الابتدائية التي أخذوا ينفقون على فتحها . وكان من هؤلاء طانيوس الحداد الذي صار معلماً في أول مدرسة فتحت في بيروت في سنة ١٨٢٦ . وكان من طلابها الأذكياء ميشيل عرمان ، فاختاره المبشرون أحد ستة كوّنوا منهم ما يشبه مدرسة داخلية في بيروت ، يتخرج منها الطالب معلماً أو واعظاً .

حاول المبشرون أن يستخدموا الشيخ ناصيف كما استخدموا طانيوس الحداد وأمثاله تمهيداً لإدخالهم في المذهب البروتستنتي ، ولكنهم وجـدوا الشيخ ناصيف متحفظاً ، فقد أعرض عن الجواب عندما أرسل عالي سمث يرجو أن يقرئه مقامات الحريري . ولكن حوالى سنة ١٨٣٠ تمكن سمث من استخدام الشيخ في نسخ الكتب ، فبدأت بذلك صلة علمية مع المبشرين الأمريكان استمرت مدى الحياة دون أن تمس مسألة المذهب .

وكان الشيخ حينئذ يصيب شيئاً من راتب وظيفة كاتب في ديوان الأمير بشير وشيئاً من نسخ الكتب وشيئاً من تعليم من يقصده في منزله . فلم يكن بعدُ مُعْسراً مضطراً إلى خدمة الأمريكان دون غيرهم . وظلت صلته بهم مقصورة على نسخ الكتب حتى سنة ١٨٣٩ عنـــدما لبى رجاء طانيوس الحداد فبدأ إقراء ميشيل عرمان شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، على نفقة الأمريكان .

وعندما سقط الأمير بشير في السنة التالية اضطر الشيخ ناصيف إلى الإقامة في بيروت وطلب الرزق فيهـا من أبواب النسخ والتعليم والتأليف .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فانتهز الأمريكان هذه الفرصة واستخدموه في أول الأمر مصححاً في مطبعتهم في الوقت الذي استخدموا فيه بطرس البستاني معلماً في مدرستهم في بيروت . ولكل منها مع المبشرين قصة طويلة ، شرحنا تلك ، الخاصة بالمعلم بطرس البستاني في بحث مطول في اللغة الانكليزية (١) ، وجعلنا هذا البحث خاصاً بالشيخ ناصيف .

وذكر استخدام الشيخ ناصيف في المطبعة الأمريكية يستوجب تصحيح بعض أوهام عنها تكرر ورودها حتى في كتب الباحثين . فالشائع أنها طبعت في مالطة ثم في بيروت كتباً في اللغة العربية كانت عاملاً في (إحياء التراث العربي) . وباعثاً للنهضة الحديثة . وهذا كله مخالف للحقيقة ، فسجلات المبشرين أنفسهم وقوائم الكتب التي طبعت في مالطة تثبت أن الكتب كلها كانت في اللغات الإيطالية واليونانية والأرمنية دون العربية . أما الكتب التي طبعت بهذه اللغة في مالطة فقد صدر بعضها من مطبعة جمعية تبشيرية انكليزية استخدمت فارس الشدياق مصححاً ، ومن مطابع تبشيرية أخرى .

أما في بيروت فالثابت من السجلات والقوائم أن المطبعة الأمريكية ظلت مكرسة للكتب الدينية الخاصة بطائفة البروتستانت ومنها الترجمة الامريكية للتوراة . ولم يطبع فيها شيء من (التراث العربي) بل صدر ما طبع منه حتى أول النصف الثاني من القرن التاسع عشر من بولاق واستانبول ، وبعد ذلك من المطابع الأهلية في بيروت وغيرها . ولكن للمطبعة الامريكية فضل في طبع بعض الكتب المدرسية في الرياضيات والطبيعيات استعملت في المدارس التي أسسها الأمريكان ، ثم في طبع كتب طبية وعلمية استعملت في الكلية السورية الانجيلية (الجامعة الأمريكية الآن) . وفيها أيضاً طبع عدد من كتب الشيخ ناصيف وخاصة المدرسية منها .

---

(1) The American Missionaries in Beirut and Butrus al - Bustani (St. Antony's Papers No. 16. Oxford) . p 137 – 182 .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومن أول هذه الكتب كتاب في الصرف والنحو أكمله الشيخ ناصيف وسلمه للطبع في صيف ١٨٤٥ كما يتضحُ من كتابه المؤرخ في ١٦ آب إلى عالي سمث الذي كان حينئذٍ في أمريكا . ولعل الأمريكان أرادوا تسهيل مهمة المعلمين في مدارسهم فطلبوا من الشيخ ناصيف أن يضع لهم ما هو أسهل من الألفية وأيسر من الكتاب الذي كان عندئذ مستعملاً في مختلف المدارس النصرانية وهو (كتاب بحث المطالب وحث الطالب) للمطران جبريل فرحات الحلبي الماروني ، وكانت مطبعة (بروباغندافيدي) الكاثوليكية في مالطة قد طبعته في سنة ١٨٣٦ .

وفيما يلي نص كتاب الشيخ ناصيف المذكور ، باملائه وشكله وأغلاطه ، نقلاً عن الصورة الشمسية التي بيدنا . وهذا الكتاب هو أوفى الكتب التسعة ، ويثبت أن الشيخ أصبح بحاجة ماسة الى مال الأمريكان ، لكنهم في صيف ١٨٤٥ كانوا في أزمة مالية اضطرتهم الى اغلاق بعض المدارس والحد من نشاط المطبعة وإيقاف رواتب بعض الموظفين السوريين ومنهم الشيخ ناصيف ، فاقترح هذا الحصول له على مساعدة مالية من أمريكا أو انكلترا « لأجل تهذيب الناس وتنويرهم » في اللغة والأدب والتاريخ ، دون الاقتصار على الأمور الدينية التبشيرية :

الجناب الأكرم حضرة سيدي الأجل المحترم حفظه الله تعالى .

غب إبلاغ ما وجب ولاق من التحيات والأشواق والسوال عن خاطركم الكريم إن شآ الله تكونوا بأحسن حال وأنعم بال وان تلطفتم بالسوال عن حال هذا المحب القديم فاننا حين تاريخه بحمد الله على كل خير غير أننا لا نقدر أن نصف ما عندنا من الوحشة والأشواق ونحن دايماً نتذكر ألطاف جنابكم وصحة مودتكم الأكيدة ونسأل الله تعالى أن يمن علينا برؤية وجهكم الكريم وأنتم بالخير والسلامة . ثم ان جنابكم قد فارقتمونا على أننا متى فرغنا من الكتاب الذي كتبناه في أصول العربية نرسله إلى جنابكم ونطلب شغل غيره

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من الخواجا هويتن (١) . أما الكتاب فسلمناه الى الخواجا هرتر (٢) والظاهر أنه يوخر إرساله إلى أن يكون مرسل لكم حوايج في صندوق فيرسله معها خوفاً من زيادة المصروف وهذا لا نعلم متى يكون . وأما الشغل فقد وقع في يدنا نسخة لقاموس الفيروزبادي بخط جميل في الغاية مقابلة بأمر الأمير حسين بن رستم عن يد جماعة من العلماء كما هو مكتوب في آخر الكتاب فاجتهدنا أننا استقرضناه لكي ننسخه لجنابكم غير أننا أرسلنا سالنا جناب الخواجا هويتن انه إذا كان عنده شغل لنا الزم منه يرسل لنا إياه وإلا فنشتغل فيه لأننا فرغنا من شغل كتاب الصرف والنحو فحضر لنا جواب مع الخواجا طمسن (٣) ان مالنا عندهم شغل يخص الديانة وهم ما لهم اذن يصرفوا مال المجمع (٤) على أعمال خارجة عن الديانة . غير انه استحسن أن جنابكم تعرفون بعض أناس في أميركا وانكليتارا يصرفون على أعمال دنيوية مثل كتب تواريخ ولغة وفنون أدبية وانه يوجد جمعيات وأشخاص مفردة ينفقون على مثل ذلك لأجل تهذيب الناس وتنويرهم وان جنابكم تدبرون هذا التدبير مع وجودكم في [تلك] البلاد . ومن جهة نساخة القاموس حضر الخواجا لوري (٥) وأفهمنا أن تم نساخته على كيس بعض الأخوة فأخـــذنا في تتميمها لأننا كنا ابتدينا فيها وقصدنا تعريف جنابكم عن ذلك لكي تدبروا ما يحسن عندكم لأننا لا نريد أن نترك شغل جنابكم الذي تعودنا عليه وتعود علينا من نحو خمسة عشر سنة من غير انقطاع ولو حصل لنا أربح منه أضعافاً نظراً إلى المحبة والألفة المعهودة . وها نحن قد عرفنا جنابكم والأمر

---

(1) George Whiting المبشر

(2) George Hurter مدير المطبعة

(3) William Thomson المبشر

(4) American Board of commissioners for Foreign Missions اسم المجمع

(5) Thomas Lourie المبشر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إليكم بما يشاء الله وكنا قد أصحبنا الكتاب بأبيات من الشعر فأردنا أن نذكر صورتها هنا وهي محررة في الوجه المقابل عساكم ترونها وعسانا نراكم بكل خير وسلامة ودمتم بحفظ الله . ه

المحب الداعي

١٦ اب سنة ٤٥

ناصف

البارحي

ه

قف بين ريحان العقيق وضاله ... وقُل السلام على العقيق وآله
وقل السلام على المنازل من فتىً ... لم يبقَ غير سلامه وسؤاله
ربعٌ وقفت منادياً أطلالهُ ... فبليت حتى صرت من أطلاله
قد كان لي صبرٌ كبعض سهوله ... واليوم لي شوقٌ كبعض جباله
لا تنكروا سلب الحبيب حشاشتي ... ماذا على متصرّفٍ في ماله
ركب النوى فحرمت نظرة وجهه ... ونفى الكرى فحرمت طيف خياله
من كان يهوى الغانيات فانني ... أهوى التي ليست تمرُّ بباله
الخايض الغمرات لم تبلُلْ له ... قدماً ولم تقطع شراك نعاله
سبّاق غاياتٍ ينـــال بفعله ... ما لا ينال سواه في آماله
البرُّ بين لســـانه وفؤاده ... والبحر بين يمينـه وشماله
متأخرٌ في عصره متقـــدم ... في فضله متفرد في حاله
ليس التفاوت في الزمان وإنما ... يقع التفاوت فيـه بين رجاله
بيني وبينك بحر ماءٍ زاخرٌ ... يا بحر عـــلمٍ فاقه بزلاله
تبدو الجواهر منك بارزة لنا ... فوق الذي قد زُجَّ في أقفـاله
عجباً له لم يحلُ لمّا خضته ... إن اللئيم موانعٌ بخصـاله
قد ضم منك الفُلك أفناناً كما ... ضمّت سفينة نوح من أجياله
شيَم الليالي ان تباعد صاحباً ... حتى يكون زوالها كزواله
هي كالهبآء فماسكٌ بحبالها ... تحت الرجآء كماسكٍ بحباله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من كان يعرف ما مضى من دهره أغناه عن مستقبل بمثاله
يوم يمر كأمسه بغروره وغد يمر كيومه بمحاله
يا من يودّع راحلاً لفراقه أترى رجوت تحيّةً لوصاله
هذا اليسير من الفراق وإنما سترى فراقاً ليس من أشكاله

★ ★ ★

لم يجب عالي همتٍ على هذا الكتاب والقصيدة ، ولكنه على ما يظهر أوصى زملاءه باستبقاء الشيخ ناصيف حرصاً على الاستفادة منه عند البدء في مشروع ترجمة التوراة ، بعد انفراج الأزمة المالية . ولكن الأزمة دامت نحو سنتين ، فلم يستطع الأمريكان في أثنائها أن يخصصوا للشيخ سوى مكافآت على شراء الكتب أو نسخها ، وأجْعال على استعمال نسخ كتاب الصرف والنحو الذي ظل مخطوطاً . وهذا كله مفصل في الكتابين التاليين نثبتها بنصها دون تغيير .

الجناب الأكرم دام محروساً

بعد ابلاغ ما وجب ولاق من التحيات والأشواق قبله أرسلنا إلى جنابكم كتاباً به نسأل عن خاطركم ونعرّفكم عن مباشرتنا نساخة قاموس الفيروزبادي الذي ما سمحوا لنا الخواجات بنساخته على كيس المجمع بدعواهم ان المجمع لا يدفع مصروفاً لغير الأعمال الدينية وعلى ذلك لم يَعُد لنا عندهم شغل إلا إذا كنتم تمينوا لنا نفقة من بعض المجامع القايمة لمثل هذه الأعمال الدنيوية في طرفكم وأصحبْنا تحريرنا المذكور بأبياتٍ من الشعر واعتذرنا عن تأخير ارسال الكتاب الذي راجعناه في علم العربية بانتظار الخواجات فرصةً لارساله مع حوائج أُخَر يرسلونها إليكم ولم يحضر لنا جواب فخشينا أن لا يكون تحريرنا وصل إلى يدكم وبناء على ذلك اقتضى تحرير هذه الأسطر والغاية القصوى أن نستفيد بها علم صحتكم التي لا نزال نسأل عنها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وندعو بها كما نسأل عن رجوعكم بالسلامة وندعو بتقريبه وعلى الله الإجابة والقبول ودمتم كما رمتم ه

٣ شباط سنة ٤٦ المحب الداعي

ناصف

المارحي

ه

يكرم براحات الجناب الأكرم الخواجا عالى سميث الاميركاني المحترم دام بقاه

بعـــد السوال عن خاطركم العزيز اننا كتبنا عن التاريخ (١) إلى صاحبه فاجاب انه إذا أردتم أن تكتبوا عنه إلى البلاد فليكن الثمن الف غرش فصاعداً على حسب ما يمكن لأنكم تعلمون انه يستحق أكثر من ذلك وهو واصل بعد أن تستكفوا من الوقوف عليه عرفونا كيف يحسن عند جنابكم كذلك الشماس مبارك طلب منكم الكتاب الذي كتبناه في النحو فارسلتم له النسخة السابقة التي كتبها ملحم وهي لا تخلو من اختلال في الخط من غلط النساخة وفيها بعض عبارات مختلفة عن النسخة التي سلمناها لجنابكم وهي الأصح والأولاد يريدون أن يأخذوا منها نُسَخ لاجل الدرس فيلزم أن يكون ذلك عن النسخة الصحيحة فاذا كان يمكن نرجوكم ارسال هذه النسخة تبقى عنده بعض أيام لكي ينسخ النحو فقط منها ويرجّعها تحت الحفظ لان النسخة التي أرسلتموها لا يريد أن يعلّم بها وليس عنده

(١) على الغالب هذه اشارة إلى كتاب « الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان » للأمير حيدر أحمد الشهابي ، وقد سماه الشيخ ناصيف « تاريخ الأمير حيدر » في كتاب آخر الى عالي سميث أخبره فيه مقدار ما تمّ نسخه من الكتاب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الآن كتاب يوافق للتعليم غيرها فتوقفت المصلحة ونرجوكم تطمنونا على صحتكم وتهدوا منا جزيل السلام بالاكرام لحضرة المصونة والمحروس ودام بقاه .

٣٠ تموز سنة ٤٧ الداعى لحاكم

ناصف

اليازجى

في سنة ١٨٤٧ هذه ألّف المبشرون الامريكان لجنة برئاسة عالي سمث للبدء بترجمة التوراة ترجمة جديدة إلى اللغة العربية ، وعيّنوا لمساعدته المعلم بطرس البستاني والشيخ ناصيف اليازجي . فهل كانت الحاجة ماسة إلى هذه الترجمة ؟ وما هي مؤهلات كل من الرجال الثلاثة لهذا العمل ؟

ترجمت التوراة إلى اللغة العربية قبل ذلك ، ومن أقدم الترجمات تلك التي ظهرت حوالي سنة ٧٥٠ للميلاد برعاية مطران اشبيلية . ومن أقدم الترجمات المطبوعة ما ظهر في باريس ولندن منذ القرن السابع عشر . ولعل أشهر الطبعات العربية تلك التي ظهرت لأول مرة في روما سنة ١٦٧١ . وقد أعيـــد طبعها مراراً حتى القرن التاسع عشر ، عندما جاء المبشرون البروتستانت من الانكليز والاميركان إلى الشرق الأدنى العربي وأرادوا نشر مذهبهم بين النصارى العرب . فأخذوا يعيدون طبع التوراة كما صدرت من روما ، مع حذف بعض الأسفار التي تعتبرها الكنيسة الكاثوليكية مقدسة ولا يعتبرها البروتستانت كذلك . وقد سبّب ذلك اضطراباً ومشاحنة في أنحاء سورية . فكان عرض الامريكان الاستغناء عن طبعة روما بحذف ما لا يناسبهم وإصدار الباقي من مطبعتهم محررا من بعض الأغلاط .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

صرف عالي سمث نحو عشرين سنة منذ وصوله إلى سورية وهو يتعلم اللغة العربية حتى أتقنها كما يتبيّن من بعض رسائله فيها ، والتي نأمل نشر بعضها في مقالة أخرى . أما بطرس البستاني فقد تعلم في مدرسة عين ورقة المارونية ، اللغة العربية وشيئاً من السريانية واللاتينية والايطالية ، ثم تعلم من سمث وزملائه الانكليزية ومبادئ المذهب البروتستانتي الذي اعتنقه . أما ناصيف اليازجي فقد تعلم القراءة والكتابة على كاهن ، والطب القديم من أبيه عبد الله ، ولكنه بعد ذلك علّم نفسه بنفسه ، فقد حفظ القرآن الكريم وديوان المتنبي ، وظل محافظاً في الأمور اللغوية والدينية ، ولم يتعلم لغة أجنبية .

كان تعاون هؤلاء الثلاثة في ترجمة التوراة ابتداء من خريف ١٨٤٨ على هذا الوجه : يقدم البستاني مسودة يراجعها مع سمث ، ثم يحقّقها هذا مع اليازجي . والراجح ان البستاني اعتمد على الترجمات العربية التي كانت معروفة حينئذٍ ، لأنه لم يكن بعد قد تعلم شيئاً كافياً من العبرية أو اليونانية ويصح هذا القول أيضاً على سمث ، ولكن هذا كان يستشير زملاءه والاختصاصيين في مختلف البلاد .

أما المساعدة المطلوبة من الشيخ ناصيف فكانت مقصورة على تحرير الترجمة من الكلمات والعبارات التي لا يقبلها الذوق العربي السليم ، ولكن ظلت يده مغلولة بسبب القواعد التي وضعها المبشرون وأهمها اثنتان : عدم تغيير ما في الترجمات السابقة من كلمات وعبارات جعلها الاستعمال مألوفة ، تجنب اتخاذ الكلمات والعبارات القرآنية .

ودامت مدة استخدام الشيخ ناصيف نحو عشر سنوات انتهت بموت سمث في سنة ١٨٥٧ ، وكان الشيخ قد أصبح في أثناء ذلك موظفاً عند الأمريكان له راتب معين ، فقربه ذلك من سمث الذي كان حينئذٍ رئيسهم . وقد وجدنا بين أوراق سمث ثلاث رسائل من الشيخ يسأل فيها عن صحة سمث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وصحة زوجته وابنه ، ورسالة رابعة يطلب فيها سلفة راتب شهر لدفع أموال أميرية مقدارها خمسمئة قرشاً . نكتفي بالإشارة إلى هذه الرسائل ، ولكننا نثبت فيما يلي أبياتاً من قصيدة في أربعة وعشرين بيتاً قدمها الشيخ إلى سمث بمناسبة عودته من أحد أسفاره بحراً ، وقد وجدنا القصيدة بين أوراق سمث أيضاً :

١ قد طلع البدر من المغربِ فمن رأى هذا ولم يعجبِ
٢ والبحر في البحر أتى راكباً في طي[1] فلك طيب المشرب
٣ شخص ، إذا أقبل ، لكنّه من شخصه يخرج في موكب
٨ احاط بالعلم واسراره احاطة الهالة بالكوكب
٩ اوشك ان يحصى لغات الورى من معجم فيها ومن معربِ
٢١[2] لابساً ثوبَ سوادٍ كما يلبس بدرٌ حلّة الغيهب
٢٢ عالٍ سميت اسماً جديراً به وأنسب الأسماء بالأنسب
٢٣ هيّجت بي في الشعر وجداً ولم يبق لنا لولاك من مأرب
٢٤ والشعر مثل المهر في خلقه ان طال عهد الربط لم يُركب

ووجدنا بين أوراق سمث قصيدة أخرى للشيخ ناصيف وبخطه ، وهذه القصيدة فريدة في بابها نظراً لصناعتها ومادتها . وهي في اثني عشر دوراً اخترنا منها ستة نثبتها فيما يلي . والقصيدة كلها تشيد بنصر الدولة العثمانية على روسيا في حرب القرم سنة ١٨٥٦ ، وتمدح السلطان عبد المجيد الذي أعلن العدل والمساواة بين رعاياه في الخط الهمايوني :

٤ جادت الأيام بالعيش الخصيب وأتانا الله بالفتح القريب
ولسان الحال فينا كالخطيب قام يدعو لأمير المؤمنين

دور

(١) ورد الكلمتان في الأصل بلا نقط . (المجلة)
(٢) يلاحظ أن البيت فيه خرم وهو حذف أول الوتد من أول البحر السريع وكان الأصل : ولابساً . (المجلة)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٥ عين أعيان الزمان المُصطفى غرّة الدنيا وتاج الخلفا
قال ان الله حسبي وكفى فاتاه الله بالنصر المبين

دور

٧ مالكٌ كالغيث قد أحيى البلاد وأقام العدل ما بين العباد
وهو الغازى الذي اعتاد الجهاد وحباه الله بالروح الأمين

دور

٩ يا لها من دولة بين الدُوَل أشرقت كالشمس في برج الحمل
أحسنت في كل قولٍ وعمل انما الله يحب المحسنين

دور

١٠ دولة بالعدل قامت والأمان إذ تولاّها سليمان الزمان
صارت الدنيا بها روض الجنان ورباها نزهةً للناظرين

دور

١٢ متّع اللهم بالملك السعيد وأدِمْ سلطاننا عبد المجيد
ربِّ واجعل ظلّه الوافى المديد سابغاً فوق جميع العالمين

★ ★ ★

كان موت سمث نهاية توظيف الشيخ ناصيف عند الامريكان ، إذ لما عُين كونيليوس ڤانديك لإكمال عمل سمث في ترجمة التوراة لم يُجدد تعيين الشيخ ناصيف ولا تعيين المعلم بطرس ، بل اعتمد ڤانديك ، الذي أتقن اللغة العربية اتقاناً مكّنه أن يؤلف فيها الكتب ، على مساعدة الشيخ يوسف الأسير . فأما البستاني فقد استقلّ عن الامريكان وأسس مدرسة أهلية غير طائفية واشتغل بالتأليف والنشر ، وأما الشيخ ناصيف فقد اكتفى بتعليم العربية في مدرسة البستاني وغيرها ، وانصرف إلى تأليف المزيد من الكتب المدرسية واللغوية . ولعل أقدم الاولى هو كتاب « فصل الخطاب في لغة الأعراب » الذي طبع لأول مرة في مالطه سنة ١٨٣٦ ، ثم طبع مراراً في بيروت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والنماذج السابقة من نثر الشيخ ناصيف وشعره الذي لم ينشر جديرة باهتمام اللغويين والادباء والمؤرخين . وقلما يجد المدقق في الشعر ما يؤخذ على الشاعر ، ولكن نثر الرسائل فيه ركاكة وكلمات غير قاموسية وبعض الأغلاط التي يستغرب وقوعها . ولا يجوز لنا إرجاع ذلك إلى تهاون أو تبسيط لأن المكتوب له كان اعجمياً ، فالشيخ ناصيف كان يعلم حق العلم ان سمث تمكن من اللغة العربية تمكناً جعله يكتبها كأحد أدبائها . ولكن لا شك ان سبب ذلك سهو لا جهل . ونثبت فيما يلي نص كتاب غير مؤرخ ترد فيه عبارة « إذا كنتم تريدوا » ثلاث مرات ، بالاضافة إلى هفوات أخرى يراها القارئ في النص الآتي وصورته الشمسية المقابلة :

يكرم براحات الجناب الاكرم الخواجا سميث الامركاني المحترم دام بقاه

غب ابلاغ ما وجب ولاق انه قد وصل تحرير الجناب الكريم مع كتاب التاريخ المرسل ونحن نذكر ان تاريخ الامير حيدر الذي نسخناه كان إلى حد الفرنساوية وتاريخ القس حنانيا إلى مقاربة قتل جرجس باز فاذا كنتم تريدوا وصل تاريخ الأمير ببعضه يلزم أن نرجع إلى نهاية المنسوخ عندكم ونوصل الاول بالثاني غير ان هـذا الجزء الذي أرسلتموه ناقص بين سنة ١٢٠٩ وسنة ١٢١٨ وبينها حديث الفرنساوية لانه كان سنة ١٢١٣ فربما توجد الأوراق الفاقدة منه عند صاحبه وإذا كنتم تريدوا وصله بتاريخ القس حنانيا فذلك أيسر غير ان الكتاب يكون لمورخَين وهذا لا باس منه لانه لا يلزمنا ذكر ذلك وإذا كنتم تريدوا أن يكون هذا مجلداً بذاته فلا باس غير انه كما نرى لا بد من الوقوف على نهاية الحديث الذي نريد أن نكمّله من هذا الكتاب على أحد الأوجه لأن الغالب على ظننا أن قتل جرجس باز غير مذكور في الذي نسخناه وهذا لا يتم إلا بحضور جنابكم إلى هذا الطرف فعرفونا ما يحسن ودام بهاكم [1] .

الداعي لحمايكم

ناصف

الياركي

(١) الكلمة في الأصل بلا نقط . (المجلة)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

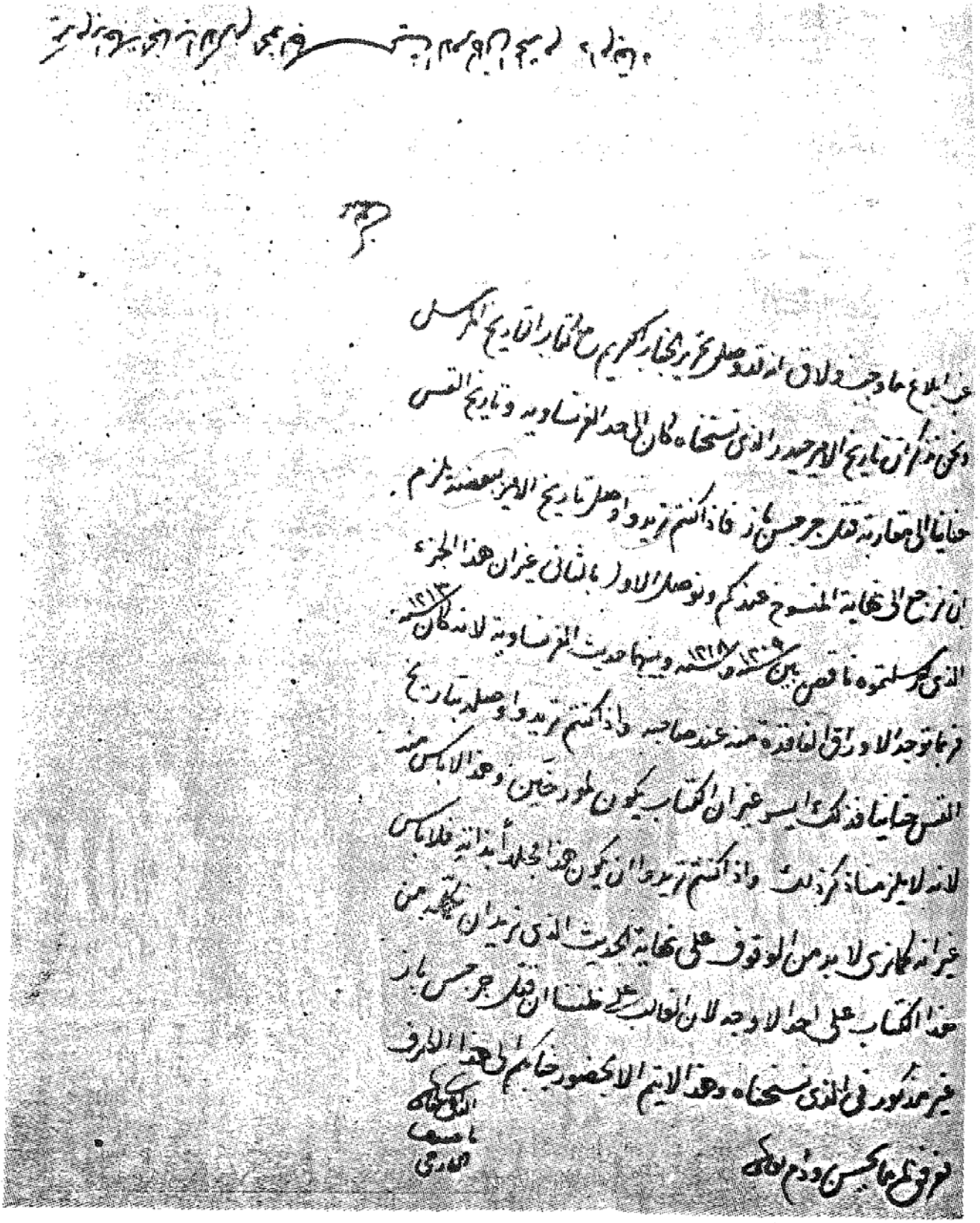

صورة شمسية من نثر الشيخ ناصيف اليازجي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بقي أن نقول كلمة عن المرحلة الأخيرة من علاقة الشيخ ناصيف بالمبشرين الامريكان ، فبعد موت سمث أصبحت صلته بهم واهية ولكنها لم تنقطع ، إذ رجعوا إليه أحياناً لتصحيح بعض المطبوعات . وكانت آخر وظيفة تقلدها عندهم هي تدريس اللغة العربية في المدرسة الكلية السورية الانجيلية التى فتحت في آخر سنة ١٨٦٦ . والغالب انه تولى التدريس فيها في السنة العلمية الثانية فقط ، أي ١٨٦٧ — ٦٨٦٨ ، لأنه لا ذكر لاسمه بين معلمي السنة الأولى ، وتقرير رئيس الكلية دانيال بلس عن السنة الثالثة يذكر الشيخ يوسف الأسير لا الشيخ ناصيف معلماً للغة العربية .(١) ولعل سبب التغيير ما جاء في تقرير بلس المؤرخ في ٢٤ حزيران سنة ١٨٦٨ : « يظهر ان الشيخ ناصيف ، على سعة علمه في اللغة العربية ، لا قدرة له على تعليم الطلاب أو تنبيه عقولهم لحب المعرفة » .

ومع هذا ربما اضطر الشيخ ناصيف إلى ترك التدريس من تلقاء نفسه ، لأن صحته قد ساءت حينئذٍ ، ثم أصيب بفالج عطله عن العمل والحركة في السنتين الأخيرتين من حياته ، قبل أن وافاه الأجل في شباط سنة ١٨٧١ .

عبد اللطيف الطيباوي

(١) اطلعنا على جميع تقارير دانيال بلس الخطية في خزانة رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net